القداس الإلهي في حياة الكاهن

عندما يسام شخص ما كاهنا – أيا كانت درجته – يتجلى أمام عينيه شخص رب المجد يسوع يساق كحمل للذبح. تسوقه إرادة الآب التي هي واحدة مع إرادته إلى الصليب. يجد مسرته في تقديم نفسه ذبيحة طاعة لله أبيه، وذبيحة حب من أجل كل البشرية.

إن كان هذه هي رؤية الكاهن عند سيامته كاهنا، فإن الافخارستيا أو القداس الإلهي في عينيه هي تمتعه مع الشعب الدخول إلى الجلجسة والانطلاق مع المصلوب إلى قبره المقدس ليحمل بروح القيامة كنيسته إلى السماء، فتجلس الكنيسة كلها معه في السماويات، وتنعم بالأحضان الأبوية والشركة مع الطغمات السماوية

الآن نتساءل:

ما هى نظرة الكاهن للقداس الإلهى ؟

ما هو دور الكاهن فى القداس الإلهى ؟

نظرة الكاهن للقداس الإلهي

١–خبرة الخروج المستمرة: إذ ينطلق الكاهن إلى الكنيسة ليشترك في خدمة القداس الإلهي يسمع دعوة الله لإبراهيم أن يترك أرضه وشعبه وبيت أبيه ليعبر من كوره الكلدانيين ويعبر إلى أرض الموعد التى يرثها أولاده من بعده. يرى أيضا أمام عينيه دعوى الله لموسى وهرون لينطلقا بالشعب من رعمسيس، بلد الفساد والعبودية ليعبرا بهم إلى البرية حتى يمكن

ليشوع أن يدخل بهم إلى ارض الموعد. ينطلق كما مع زر بابل مع شعبه من بابل، أرض السبي، إلى أورشليم لبناء هيكل الرب.

يشعر الكاهن انه يختفي شفى شخص السيد المسيح الذي حقق ولا زال يحقق الخروج الحقيقي، حيث يحمل البشرية فيه ليعبر بهم من العداوة مع الله إلى البنوة لله، ومن العالم الأرضي ليعبروا إلى السماء عينها !

مسكين الكاهن الذي يمارس القداس الإلهي ربما لساعات دون أن تمارس نفسه الخروج الحق فيجتذب الروح القدس الكثيرين من تراب العالم ويدخل بهم إلى السماويات !

يشتكى كثيرون من طول فترة القداس الإلهي بينما يمكنهم الاشتراك في حفلات قد تمتد الليل كله ! لماذا ؟ لأن الحاضرين لا يتلامسون مع كاهن يحملهم بروح الرب للخروج المستمر والتمتع بمجد فوق مجد، هذا ما يجعل الملل يحل بنفوسهم ويشعرون كأن الوقت يمضى ببطء شديد !

هذا الخروج هو انطلاقة لنفس الكاهن مع شعبه من الذلة والعبودية والفساد إلى الوعود الإلهية السماوية والحرية والخلود. لذا يليق بالكاهن عند دخوله إلى الكنيسة يشعر انه في موكب الخروج مختفيا في القائد الأعظم رب المجد يختبر الخروج من جوانب كثيرة:

*خروج من الاعتماد على الحكمة البشرية المجردة إلى الحكمة السماوية.

خروج من روح اليأس إلى روح الرجاء المفرح.

خروج من الفكر الحرفي القاتل إلى الفكر الروحي البناء !

خروج من العبودية إلى الحرية.

خروج من تراب العالم إلى أمجاد السماء!

هكذا تتهلل نفس الكاهن وهى منطلقة في موكب النصرة المسيانى !

٢-خبرة الحياة الشاكرة

"الافخارستيا" تعنى " الشكر"، فقد قدم السيد المسيح جسده ودمه ذبيحة شكر لله الآب. يحملنا فيه ليجدد طبيعتنا فينزع عنا طبيعة الجحود ويهبها شركة سماته " الشكر" فاكاهن المتذمر في حياته الخاصة بسبب مرض أو ما يظنه فشل، أو بسبب حياته الأسرية، أو في عمله الرعوي يكذب وهو يقدم الافخارستيا. بينما هو متذمر في حياته يردد بلسانه " نشكرك على كل حال، ومن أجل كل حال وفى كل حال". لذا لاق بالكاهن أن يصرخ لكي يهيئه الله للاشتراك في الافخارستيا، فتكون عبادته متناغمة مع حياته من كل جوانبها.

يتعثر الشعب حين يرى الكاهن يقدم ذبيحة شكر بينما تفوح من حياته رائحة التذمر.

٣=خبرة المعرفة

جاءت القداسات القديمة فى صلواتها تكشف عن غاية العبادة وهو الشكر لله الذى يهب النفس بصيرة روحية فتتعرف على أسرار الله.

في قداس القديس سيرابيون يقدم الكاهن ذبيحة شكر من اجل المعرفة التي صارت له وللشعب في المسيح يسوع.

في ممارسة القداس الإلهي ينطلق الكاهن نحو الهيكل لكي يجلس عند قدمي المصلوب في الجلجثه يغرف من الدم الثمين والماء المنسكبان

من الجنب المطعون فتغتسل عيناه الداخليتان لتنظرا ما لم تره عين، وتتمتع أعماقه بالمعرفة لا العقلية البحتة، بل معرفة الشركة العملية. في الهيكل يدخل الكاهن مع الشعب كما إلى حجال المصلوب لكي يصير الكل عروشا في أحضان العريس السماوي، يتناجيان في أحاديث سرية رائعة، وتدرك العروس ما في قلب عريسها.

حقا من يلتقي بالحق بالكلمة الإلهي الذبيح خلال سر اللإفخارستيا يتعرف على كلمة الله المكتوبة. يصير الكتاب المقدس مفتوحا أمام بصيرته الداخلية، ليدرك أمورا لا ينطق بها.

في القداس الأبهى تمتد يد السيد المسيح نفسه لتقدم للكاهن كما للشعب جسده ودمه المبذولين لجل كل العالم طعاما أفخارستيا يشبع النفس وينميها. ما هو هذا الطعام إلا المعرفة العملية الاختبارية حيث تذوق النفس في جسد الرب ودمه الحب الإلهي الفائق وتتعرف على ما لا تستطيع لغة بشرية أن تعبر معه. فمع تمتعنا بالجسد الحق والدم الحق نتمتع بالمعرفة الحقة لأسرار حب الله العجيب.

خبرة الذبيحة المستمرة

يقول القديس أغسطنيوس: أنتم على المذبح، أنتم داخل الكأس " هذا يرى أسقف هيبو أنه هو وشعب الله إذ يشتركون في القداس الإلهي إنما تصير لهم كرامة الذبح المستمر مع المسيح الذبيح، فيتغنون مع الرسول بولس: " من أجلك نمات كل النهار"

مسرة الكاهن وهو يقدم الذبيحة لا أن يسبح بلحن عذب فحسب، وإنما وهو يقدم ذبيحة المسيح الفريدة تتهلل نفسه إذ يشارك المصلوب صليبه، والمدفون في القبر قبوله الموت اليومي ببهجة قلبه !

لن يختبر الكاهن بهجة القيامة التي تشرق على المشتركين شفى خدمة القداس الإلهي ما لم تكن حياته العملية هي شركة آلام وصلب ودفن مع القائم من الأموات.

خبرة الشركة مع السمائيين

أثناء خدمة القداس الإلهي يرتفع قلب الكاهن مع قلوب شعبه كما إلى السماء ليشاركوا السمائيين تسابيحهم وتهليلاتهم الفائقة.

الكاهن وقدسية القراءة

وبركات الخلوة

قدسية القراءة

سألني أحد الأحباء: ترى هل ستجد في السماء كتبا وكتبة حيث أنك تجد عذوبة في القراءة ؟

أثار هذا السؤال أعماقي الداخلية، فقد أحببت بالحق القراءة خاصة في الكتاب المقدس وفى تعليقات الآباء على عباراته التي تحمل إلينا خبرتهم العملية لكلمة الله. لكنني تذكرت كلمات القديس يوحنا الذهبي الفم بأنه لولا السقوط في الخطية لم يكن الإنسان محتاجا إلى الشريعة الشفوية والمكتوبة، والكتاب المقدس. كان آدم يرى صوت الرب في الجنة (تك ٣:)، فلم يكن محتاجا يحدثه عن الله، ويكشف له عن أسرار حبه وخطته، بل كان حتما يتحدث مع الرب حيث كان يلتقي معه وجها لوجه. أما وقد سقط آدم صار

أولاده في حاجة أن يلتقوا بالله ويتعرفوا على أسراره خلال الكلمى المكتوبة، الكتاب المقدس. صاروا في حاجة إلى معلمين وقاده يكتبون له ويشرحون لهم ما ورد في الكتاب الإلهي ! هكذا صارت القراءة أمرا حتميا حتى نلتقي مع كلمة الله فى السماء، نراه وجها لوجه، ونتحدث معه فنقرأ الإلهيات بأعماقها في شخص الكلمة ذاته !

ما دمنا في العالم، نحمل هذا الجسد،لن نستطيع الاستغناء عن القراءة حتى تبطل قراءة الكتب حين نلتقي بالكلمة ذاته ونتمتع برؤية الروح القدس نفسه الذي أعلن للأنبياء ورجال الله القديسين الكلمة الإلهية.

القراءة عطية مقدسة ولازمه تحت قيادة روح الله القدوس.

بين القراءة والخلوة والرعاية

كثيرا ما يصارع الكاهن في داخله بين رغبته في القراءة وبين شوقه إلى الجلسة الهادئة الصامتة والخلوة مع الله، وأيضا رعايته لشعب الله، فكيف يوفق بين هذه الأعمال الثلاثة والوقت ضيق للغاية ؟

أولا: من بركات الرب علينا شعورنا بضيق الوقت، فنحرص على تقديس كل نسمة من نسمات حياتنا. كثيرون كسبوا الملكوت بحرصهم على تقديس وقتهم وتكريسها للرب كما فعل اللص اليمين في الدقائق الأخيرة منحياته على الأرض، بينما فقد البعض مجدهم الأبدي بسبب تهاونهم في تقديس الوقت ولو إلى لحظات. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم بأنه قد يضرب الإنسان يده بالسيف في ثوان، فيحتاج إصلاح هذه الثوان إلى سنوات طويلة، وقد لا يمكن إصلاحها نهائيا. فالأعمال ولو لمدة ثوان قد تفسد كل حياتنا إلى الأبد.

ثانيا:الصراع نفسه فى عمل موازنة بين توزيع الأعمال على وفتنا الضيق يحظم سلامنا ويفسد وقتنا. فعمل عدد الخير هو نزع السلام الداخلى وحياة الشكر ليعيش الانسان متذمرا وغيرا راض. فان قرأ يثير ضميره بانه مشغول بالقراءة وليس بالجلسة الهادئة مع الله، أو أنه يمارسها على حساب نفوس كثيرة تحتاج إلى رعاية. وهكذا أن جلس فى هدوء يناجى إلهه يثير العدو عليه الحرب بانه مهمل فى قراءاته ورعايته لشعب الله. وأيضا ان نزل الى الحقل للرعاية لا يجد راحة.

الإنسان الروحى دائم الشكر، لن يسمح للعدو أن يبث فيه روح التذمر. فلا يفعل شيئا بدمدمة، بل بفرح وبهجة قلب.

ثالثا: يصعب جدا وضع خط فاصل بين هذه الأعمال الثلاثة.فالكاهن هو يقرأ تحت قيادة روح الله القدوس يشعر انه فى خلوة مع الله، يتحدث معه فى عذوبة. وفى نفس الوقت يرفع قلبه من أجل شعب الله فى قلبه ليدخل بهم إلى حضرة الله.

القراءة فى حياة الكاهن

ان كان كل مؤمن ملتزم أن يقرأ ما دام فى الجسد حتى يلتقى مع كلمى الله نفسه ليتحدث معه فى السماء حديثا صريحا، فبالأولى الكاهن يلتزم بهذا لكى يتمتع هو وشعب الله بأسرار الروح.

فيما يلى بعض الملاحظات على قراءات الكاهن:

اولا: مزج القراءة بروح الصلاة، فالكاهن ليس دارسا بل هو رجل الله الذي يود أن يدخل ومعه الشعب إلى الحضرة الإلهية بقيادة الروح

القدس. القراءة بغير روح الصلاة تقود الإنسان إلى الكبرياء، وتفسد نظرته الروحية، وقد تنحرف به إلى الهرطقات.

ثانيا: من التداريب البناءة في حياة المؤمنين خاصة الكاهن أن يركز قراءاته في كل فترى معينة ولتكن لمدة شهر أو أقل أو اكثر حول سفر معين أو موضوع معين. هذا التدريب يسند فكر الكاهن على التركيز وعدم التشتيت. ومن جهة أخرى تجعله دائما. حتى في أحلامه – مشغولا بموضوع معين بناء. يظهر ذلك أيضا في جلساته مع الأفراد أو العائلات وحتى في الاجتماعات الكنسية، فما يعيشه الكاهن خلال هذه الفترة يحمل انعكاسا على كلماته وتصرفاته، حتى فى التداريب الروحية في حياته الروحية وفى حياة اخوته الذين يخدمهم.

ثالثا: يليق بالكاهن أن يكو ن أشبه بالنحلة التي تقف على كل زهرة لتخرج عسلا عذبا ومفيدا. فاكاهن يقرأ أن أمكن في كل المجالات، على انه يخصص وقتا اكثر لكلمى الله. حتى في القراءات الروحية، حسن أن تكون له دراية بالموضوعات العقيدية والشبابية والتاريخ الكنسي والطقس ... لكن يبقى الكتاب المقدس هو صلب قراءته.

رابعا: الكاهن وهو مهتم ببناء نفسه بالقراءة الممتزجة بالصلاة يلزمه أن يبث هذا الروح بين الأطفال والصبيان والشبان والعائلات. ليتنا في كل زيارتنا نقدم كتابا أو كتيبا أو نبذه صغيرة بعد أن تشوق الحاضرين للقراءة.

اذكر يوما جاءني رجل يعترف بانسحاق قلب ولما سألته عن الذي دفعه لهذه التوبة قال لي: بالأمس إذ حضرت إلى منزلنا ولم تجدنا تركت لنا

نبذة صغيرة على الباب. قرأتها فالتهب قلبي بالتوبة ! شكرت ألهي أني لم أجده، فعمل الله خلال النبذة التي تركتها له.

أذكر قبل سيامتى كاهنا إذ كنت مع أحد الأحباء نقوم بافتقاد الشباب قمنا بزيارة شاب كان قد جاء من إحدى مدن الوجه البحري، وكان مستهترا للغاية. كان كل ما يشغله هو اللهو والملذات الجسدية. لم يكن يشغله خلاص نفسه ولا دراسته في الجامعة، فقد فشل لسنوات طويلة. إذ قمنا بزيارته وجدناه بمرارة فسألناه: " لم تبك ؟ " أجاب:

" أنتما تعلمان كيف أعيش في حياة فاسدة، ولا أبالي بحياتي الروحية ولا بمستقبلي هنا في العالم وفى الدهر الآتي.

بالأمس بعد أن خرج أصدقاء السوء من سكنى لم أستطع النوم حتى قرابة الفجر. فجأة تذكرت أن أخي أهداني كتابا منذ ثمان سنوات عند دخولي الجامعة وقد وضعته فوق الدولاب. قمت بإحضاره وكان غلافه قد لصق به التراب. بدأت اقرأ فيه وإذا بدموعي تنساب، إني حزين إنني لم اقرأه طوال هذه الأعوام الثمانية.

أمثلة لا حصر لفاعلية القراءة في حياة الإنسان.

هذا ويلاحظ أن الكاهن الذي لا يهتم